من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر

إعداد

مازن صلاح مطبقاني

الناشر

مكتبة ابن القيم — المدينة المنورة



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله حمداً يوافي نعمه وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الكتابات حول الاستشراق والمستشرقين كثيرة ولكنها في الغالب دراسات تاريخية لنشأته وتطوره وموضوعاته وأهدافه وإن الدراسات التي تعيش الاستشراق في معاقله محدودة وقليلة . وقد من الله على كاتب هذه السطور بتجربة طريفة مفيدة أن عاش شهراً تقريباً في مدينة برنستون . كنت أقضي فيها معظم نهاري في قسم دراسات الشرق الأدنى في هذه الجامعة أحضر المحاضرات وأستمع إلى الدروس وأقابل الأساتذة واطلع على النشاطات . فعرفت بعض الشيء عن هذا المكان .

ولما أتاح لي نادي المدينة المنورة الأدبي في١٤٠٩/٧/١٤ أن ألقي محاضرة بعنوان «من آفاق الاستشراق الأمريكي المعاصر» جمعت أوراقي وبحثت في مكتبتي فجاءت هذه الصفحات التي تدعو إلى مزيد من الاهتمام بالاستشراق بدراسته في صوره الجديدة والاقتراب من علمائه وفكرهم .

فمهما كانت الدراسة النظرية مفيدة وضرورية فمثل هذه الرحلات يجب أن تتكرر وأن يطلع المثقفون على مايعد لنا الغرب من سلاح يحاربنا به . ولنتذكر قول الله عز وجل :

« إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » (سورة غافر ، ٥١) .

مازن مطبقاني

المدينة المنورة ـ حي البحر

في : ١٤٠٩/١١/١هـ

أهـداف الرحلـة ومبـرراتهـــا



بسم الله الرحمن الرحيم

لقد رحلت إلى أمريكا وبريطانيا في طلب العلم ، لأعرف مايدرس القوم ويعدون لأمتنا الاسلامية ، ولاأدعي أنني عرفت الكثير بيد أني شعرت أن في هذه الرحلة مايقال . كما أنني لاأزعم أنني سأقدم إليك أيها القاريء الكريم حديثاً مفصلاً عن الاستشراق الأمريكي قديماً وحديثاً أو موضوعاته وأهدافه . بل سيكون الحديث هنا عن أحد مراكز الاستشراق في أمريكا ، وما ينطبق عليه ينطبق على المراكز الأخرى كثيراً أو قليلاً . هذا المركز هو جامعة برنستون وبخاصة قسم دراسات الشرق الأدنى الذي كان أول الأقسام تأسيساً في الجامعات الأمريكية لدراسة الشرق الأوسط الحديث . وقد أسس هذا القسم فليب حتّى الذي جاء إلى برنستون بتدبيرمن الرئيس الأمريكي ويلسون وصديقه بايارد دوج BAYARD DODGE من الجامعة الأمريكية في بيروت بالاشتراك مع المؤسسات التنصيرية الأمريكية [1] .

---

(1) "A critical Analysis of Islamic Studies at North American Universities" Compiled by the Committee on Oriental Studies at the Islamic Youth Congress in Tripoli, Libya. July, 1973 and updated March 1975. Distributed by a publishing Company in Ceder Rapids, Iowa, U.S.A.

وبرنستون متهمة أيضاً بأن هذاالقسم فيها ليس فقط خاضعاً لسيطرة أشخاص يتعاطفون فكرياً مع الصهيونية وإنما أيضاً لسيطرة مشاركين نشيطين في المعركة السياسية الدائرة بين الصهيونية والفلسطينيين[1] .

أعلم أن موضوعاً كهذا تتجسد فيه مشكلتان إحداهما النقطة التي ينبغي التوقف عندها في الحديث عن النفس حتى لايتحول الموضوع إلى مجرد انطباعات وعواطف ، والمشكلة الأخرى الفصل بين هذه الانطباعات والرأي المجرد . ولكني سأحاول تجنب هاتين المشكلتين ماستطعت .

رحلتي هذه إلى أمريكا ليست الأولى أو الثانية فقد عشت فيها خمس سنوات أطلب العلم والشهادة الدراسية . فلم أحصل على الشهادة وحصلت على شيء قليل من العلم . والذي يعود من أمريكا بلا شهادة ينال لقب فاشل بجدارة فالمجتمع العربي الإسلامي قد جعل الحصول على الشهادة المعيار الوحيد للنجاح أوالفشل متجاهلاً مايحدث أحياناً من تأثر المبتعث بالفكر

---

(١) أدوارد سعيد « الاستشراق والصهيونية » . **مجلة المجلة** . العدد ٤٠٨ في ٢ ـ ١٩٨٧/١٢/٨ .

الغربي والسلوك الغربي وهوالفشل مهما كانت الشهادة عالية . وإن من أخطر ماتواجهه الأمة الاسلامية الآن بل ومنذ بدء حركة الابتعاث انسلاخ بعض المبتعثين من فكرهم الإسلامي مما دعا الشيخ أبي الحسن الندوي أن يصف هؤلاء بقوله : إنهم «طبقة مضطربة العقائد والأفكار والسير والأخلاق ، أحسن أحوالها أن تكون مذبذبة بين الفكرة الغربية والفكرة الإسلامية ، وإلا فهي في أكثر الأحيان تنسلخ من كل مايدين به مجتمعها وأمتها وبلادها» [1] .

بعد أن سجلت رسالة الدكتوراه في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة ، قسم الاستشراق بعنوان « منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي » وبدأت القراء ة الفعلية في أعمال هذا المستشرق وجدت أن من الضروري القيام برحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا .

---

(١) ابو الحسن علي الحسني الندوي . « أهمية نظام التربية والتعليم في الأقطار الإسلامية » حضارة الاسلام ، السنة السابعة عشرة . العددان الخامس والسادس رجب/شعبان ـ ١٣٩٦ ـ أب/أيلول ١٩٧٦ ص ٢٩ .

وأعود مرة أخرى إلى أولِ عهدي بالاستشراق فقد كان ذلك في كتاب التوحيد والتهذيب المقرر على طلبة السنة الثانوية الثالثة عام ١٣٨٨هـ (١٩٨٦) م . وقد جمع فيه مؤلفه مجموعةً من أقوال المستشرقين عن محاسن الإسلام . وكأننا كنا نُعَدُّ للذهاب إلى بلاد الغرب فيكون تمسكنا بإسلامنا أقوى لأن علماءَ هم رأوا إسلاَمنَا عظيماً . ولاأدري هل كانت تلك الجرعة كافية لتحصين الشباب ، ولكن الذي يذهب إلى بلاد الغرب لايحتاج إلى قناعة فكرية فقط بل يحتاج إلى تربية روحية عظيمة حتى يتمكن من مقاومة المغريات المادية ويحتاج أيضاً ـ وهذا من واقع التجربة ـ إلى إخوان في الله يَدُلُّونه على الخير ويذكرونه إذا نسي .

حينما وصلت أمريكا اختار لي الملحق التعليمي معهدَ اللغة الانجليزية في لوس انجلوس ، وكان هناك اتفاق بين معهد اللغة وكنيسة الباب المفتوح حيث ترسل الكنيسةُ أحدَ قساوسَتِها (منصريها) في لباسه العادي إلى المطار لاستقبال الطالب والترحيب به وإسكانه ومساعدته في الملاءمة مع الحياة الجديدة من تعريفه بالبنك وبالمدرسة وغيرذلك . ولعل الملحق التعليمي لم يكن على علم بمثل هذا الترتيب ، وكان بعضُ هؤلاء

المنصرين قد قضوا سنواتٍ طويلةٍ في بلاد المسلمين حتى أتقنوا لغاتِها . وعادوا إلى أمريكا لتلقف المبتعثين وتنصيرهم .

لم أدرك طبيعتهم التنصيرية رغم أنني أقمت في منزل رئيس تلك الكنيسة مدة شهرين حتى ذهبنا في رحلة نظمتها الكنيسة إلى ولاية أريزونا لتعريف الطلبة الأجانب ببعض المناطق الأمريكية ذات الطبيعة الخلابة . وكانوا في الطريق ينزلون ضيوفاً على بعض الكنائس ويكون هناك برنامجٌ ثقافي فيتحدث أحد الطلاب مثلاً عن تجربته في الانتقال من دينه السابق إلى النصرانية . وقد كان بعضُ المتحدثين مسلماً . رفضت هذا الأسلوب الفج ولم أصدق مايقولون . وبقيت على اتصال بهذه الكنيسة وبخاصةٍ أن السلوك الاجتماعي في النادي الذي يجتمع فيه الطلاب ملتزم ومنضبط فهم يحرمون الخمر والتدخين حتى كان يومٌ دار فيه حديث بيني وبين رئيس الكنيسة حول قضية فلسطين وتشعب الحديث إلى الإسلام والنصرانية فأبدى المنصر عدم إيمانه بوجود دين بعد النصرانية وأنه لانبي بعد عيسى عليه السلام فوقع الشقاق بيننا من يومها . وأضيف أنهم لم ينجحوا مطلقاً في اجتذاب الطلاب المسلمين .

انتقلت من هنا للدراسة في جامعة ولاية أريزونا ، وهناك كان

لقائي بالشباب العربي والمسلم الذين يدرسون مختلف العلوم حيث كانت أحاديثنا تدور أحياناً حول الإسلام ومدى صلاحيته للتطبيق في العصر الحاضر . وكان بعض هؤلاء الشباب قد تربّى على الإيمان بالعلمانية والاشتراكية والشيوعية . وشد ماكانت صدمتي حين حدثني زميل عربي مسلم يدرس الدكتوراه في التربية عن القرآن قائلاً : إنه من وضع محمد (صلّى الله عليه وسلم) وإن القرآن لايختلف إطلاقاً عن « الشعر الجاهلي وأغراضه » فحاولت أن أرد عليه ولكن لم أكن مُعداً لذلك .

عدت إلى المملكة لألتحق بقسم التاريخ بجامعة الملك عبد العزيز ولأصطدم تارة أخرى بالأفكار التي سمعتُ وعرفتُ بعضَها في أمريكا فبعضُ أساتذتنا تلقوا العلم على أيدي المستشرقين في أوربا وتبنوا أفكارهم وكما يقول د . اكرم العمري : « وكنا نظن أن هذه الأقوال هي اجتهاداتهم لكن بعضهم كان أحياناً يعزو، فإذا ماعزا القول لصاحبه عرفناأنه يتبنى رأياً لأحد الدارسين الذين كانوا يُسمّوْن مستشرقين ، لكن معظم الأراء ماكانت تعزى . وهذا أخطر بالطبع [1] .

---

(١) الدكتور أكرم ضياء العمري . الاستشراق هل استنفذ أغراضه ؟ محاضرة ألقيت في الجامعة الإسلامية في رجب ١٤٠٨ هـ .

وكانت ذروة التأثر بالمستشرقين أن أستاذ مادة علم التاريخ في مرحلة الدراسات العليا صرح عندما سألته عن المنهج القرآني في التاريخ قال : « يابني لاتخلط العلم بالدين » واحتد النقاش بيننا وخشيت أن تتأثر درجاتي في الامتحان بسبب مخالفتي له في الرأي فكتبت له ذلك فقال : «هذا ليس اعتذاراً بل إهانة » فقلت في نفسي من يهن الدين يستحق ذلك ؛ وكان إلى جانب هؤلاء المتغربين بعض الأساتذة أصحاب فكر إسلامي أصيل وأذكر منهم الدكتور جمال عبد الهادي الذي كان يدرس مادة علم الآثار وتاريخ اليونان وتاريخ روما القديم وكم كان عظيماً أن ندرس هذه العلوم بمنهاج إسلامي أصيل . ومن ذلك حديثه عن انهيار الامبراطورية الرومانية وكيف رجع إلى القرآن الكريم ليتخذ من آياته ميزاناً ومعياراً في هذا . حتى إن بعض الطلاب همس في أذن زميله هل نحن ندرس التاريخ أو الثقافة الإسلامية ؟ .

من هو برنارد لويس ؟

فيما يلي نبذه مختصرة عن برنارد لويس : ولد برنارد لويس عام ١٣٣٣هـ ـ ١٩١٦ م في لندن ، حصل على الشهادة

الجامعية من جامعة لندن عام ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦ م . وهو لم يتجاوز العشرين ، ودرس في باريس سنتين تقريباً مع الأستاذ ماسنيون وغيره . ثم عاد إلى بريطانيا ليحصل على الدكتوراه عام ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٦ م . عن رسالته بعنوان : «أصول الإسماعيلية » تحت إشراف المستشرق هاملتون جب . له عدد كبير من البحوث والكتب والمقالات الصحفية . من أشهر كتبه « العرب في التاريخ » وقدأعيد طبعه سبعَ مرات ، و« ظهور تركيا الحديثة » ، و« اسطنبول وحضارة الامبرطورية العثمانية» و« الغرب والشرق الأوسط » و« والعرق واللون في الإسلام » و « يهود الإسلام » و « الحشاشون فرقة ثورية في الإسلام » وآخر كتبه هو « اللغة السياسية في الإسلام » .

عمل لويس في جامعة لندن مدرساً في قسم التاريخ :

- مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية - حتى ترأس هذا القسم في أول أكتوبر عام ١٩٥٧م ـ ١٣٦٦ هـ . وظل رئيساً له مدة خمسة عشرعاماً حتى انتقل إلى جامعة برنستون بولاية ـ نيوجرسي الأمريكية ـ بقسم دراسات الشرق الأدنى بالإضافة إلى عضويته الدائمة في معهد برنستون للدراسات المتقدمة وهو المعهد الذي كان يعمل فيه البرت انشتين صاحب النظرية

النسبية .

حصل على الجنسية الأمريكية عام ١٩٨٢م . وهو الآن أستاذ متقاعد ولكنه مايزال يحتفظ بمكانته العلمية في الجامعة . وقد أصبح منذ عامين مديراً لمعهد بحوث اننبرج للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى في مدينة فيلادليفيا بولاية بنسلفانيا .

هذا وقد أشرف البرفسور لويس على العشرات من الطلاب العرب والمسلمين وغيرهم . وكانت معاملته لهم راقية جداً حتى إنه كان نادراً مايشكو طالبٌ من سلوكه معه بل بالعكس كان الكثيرُ من الطلبة يحبونه ويتعلقون به . قد أفادني بهذا الدكتور عيساوي وأكده الدكتور محمد مناظر أحسن والبرفسور مايكل كوك . وملاحظةٌ هامشية هنا إن لويس لايفعل كما يفعل بعض المشرفين في بلادنا وفي بلادهم أيضا حيث يصرون على أن مهمتهم هي عرقلةُ سيرَ الطالب وملء حياته بالغم والكمد واستغلاله أسوء استغلال .

نشاطات جامعة برنستون الاستشراقية :

بعد وصولي مدينة برنستون زرت جامعتها وبخاصة قسم دراسات الشرق الأدنى لمعرفة نشاطات هذا القسم . وفيما يلي نبذة موجزة لهذه النشاطات التي حضرتها:

أولاً : محاضرة للبرفسور ليون كارل براون بعنوان :

« وهم يتحقق : الجهود الأمريكية و البريطانية لتنظيم الشرق الأوسط » .

كان ملخص المحاضرة أن على أمريكا أن تتخلى عن أعمالها الامبريالية وزعامتها للعالم ؛ ذلك أن هذه الزعامة باهظة التكاليف وإن أمريكا لاتستفيد من هذه الزعامة بقدر ماتكلفها ودار النقاش حول هذه المسألة وهل من حق أمريكا أن تتخلى عن هذه الزعامة فينفرد بها الاتحاد السوفيتي أو أن الطرفين لابد أن يتركا دول العالم وشأنها . وهل هذا ممكن . وكان من الذين أدلوا بدلوهم طالبة تركية قالت : « إنكم تتحدثون عن موقف أمريكا وكأنّ العالَم فراغ مهمل . وكأن الدولَ الصغيرةَ ستبقى إلى الأبد صغيرة وأن أمريكا ستظل هي القوة صاحبة الرأي والقرار» . وقد خطرت لي فكرة وهي : أليس هذا الثراء الذي تنعم به أمريكا والقوة التي تسند هذا الثراء إلابسبب ماأكلت أمريكا من لحوم الشعوب الأخرى ؟ وهل ماقدمته أمريكا أو تقدمه يساوي ماوصل إليها من ثروات الشعوب الأخرى ؟ ولكنني كنت موطد النفس على أن لايكون لي رأي ، فأنا بحاجة إلى العمل الهادىء .

والبرفسور براون كانت اهتماماته متجهة إلى شمال أفريقية فكتب في تاريخ تونس كما كتب عن علماء الإصلاح في الجزائر ، ولكنه تحول مؤخراً إلى القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، في الشرق الأوسط بعامة وله كتاب حول سياسة أمريكا من الشرق الأوسط مقرر على طلبة قسم العلوم السياسية ودراسات الشرق الأدنى كذلك .

ثانياً : محاضرة البرفسور شارل عيساوي وكانت بعنوان: « الشاعر الانجليزي شيلي والشرق الأوسط ١٨٢٠ » وقد تحدث فيها عن موقف الشاعر من الدولة العثمانية وأوضح حب شيلي وهيامه بكل ماهو يوناني - وتلك موجة قد اجتاحت أوربا وأمريكا فترة من الزمن - فلذلك نجد شيلي قد وجّه غضبه وحقده على الدولة العثمانية . أما ما كتبه عن ثورة الإسلام فيقول المحاضر: إنه لم يكن له علاقة بالإسلام ، فقد أراد شيلي أن يطعن في النصرانية ولكن خوفه من غضب الكنيسة جعله يسمي بحثه : « ثورة الإسلام » وفي أثناء المحاضرة ذكر عيساوي أن شيلي كان يرى أن النصرانية خيرٌ للشعوب الأخرى وفي الهند بالذات وأنها ساعدت على تمدين الهنود. وفي نهاية المحاضرة قلت للدكتور عيساوي : لقد كان للهنود المسلمين رأي

آخر في النصرانية المصدّرة إليهم وقد عارضوها لأنها جاءت تهاجم الإسلام وتطعن فيه .وقد كان هناك مناظرات خطيرة من أهمها مادار بين الشيخ رحمة الله الكيرواني والقس فندر.[1]
فقال: ليس لي علم بهذا ، وحبذا لو كتبت لي رأيك في المحاضرة .

أما بقية البرنامج فأكتفي بذكر أسماء المحاضرين وعناوين محاضراتهم ولكم أن تستنتجوا من ذلك ماشئتم .

ثالثاً : محاضرة البرفسورإبراهام يوردفتش بعنوان : « من كتب ميثاق عمر » ؟ ملاحظات متأنية حول الموقف الاسلامي القانوني من الأقليات . وقد علمت أنها كانت حديثاً حول عهد عمر ـ رضي الله عنه ـ لأهل الذمة وادعاء بعض المستشرقين أن بعض النصارى هو الذي كتب هذا العهد .

رابعاً : **محاضرة امانيول سيفان** EMANUEL SIVAN أستاذ زائر من جامعة تل أبيب بعنوان :« الفرار مع العروس في الأردن » .

خامساً :صادق جلال العظم : أستاذ زائر من جامعة دمشق

---

(١) رحمة الله الكيرواني .إظهار الحق . قطر: وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

سادساً : أندريه ريموند أستاذ زائر من جامعة بروفنس بفرنسا بعنوان : « هل هناك مدينة إسلامية ؟ » .

محاضرات الأساتذة الزائرين :

١ ـ **محاضرة البرفسور راينهارد شولتز:** أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بون بألمانيا الغربية وعنوانها : « الإسلام السياسي في القرن العشرين » تحدث فيها عن وجود إسلام سياسي وإسلام آخر يهتم بالسلوك اليومي للمسلم . وتحدث عن مسألة الحاكمية ثم انتقل إلى الكلام عن العصر الحديث منذ القرن الثامن عشر وبداية الاستعمار،وظهور حركة النهضة الإسلامية، والصراع بين الفئة المتغربة وعلماء الدين المصلحين . واهتم بالحركة الإسلامية المعاصرة وموقف الدول الإسلامية منها وركز على أن الدول الإسلامية تحاول بشتى الوسائل تبني بعض الممارسات الإسلامية محاولة منها إقناع الحركة الإسلامية بجديتها ومن ذلك استخدام الفتوى لإقرار بعض الأمور الاجتماعية والاقتصادية .

وقد حصلت على نسخة من هذه المحاضرة .

٢ ـ محاضرة البرفسور جيفري لويس [1] بعنوان :

« النجاح الكارثة ـ الإصلاح اللغوي » وهي محاضرة كان قدألقاها عام ١٩٨٥ في الأكاديمية البريطانية . تحدث المحاضر عن جهود مصطفى كمال وحكومته في إيجاد لغة تركية حديثة يتخلصون فيها من الكلمات الدخيلة وبخاصة المفردات العربية ، وألمح بسخرية إلى أن الكلمة العربية كانت إذا دخلت اللغة التركية دخلت بعائلتها وضرب المثل بكلمة عَلِمَ يعَلم عِلْما عالماً معلماً عَلّاماعليما ..الخ . وقد أشاد المحاضر بالجهود التي بذلت في هذا الشأن وكيف أنها كانت مرتجلة أحياناً ومتسرعة ، ولكنه يعود ليذكّر الحضور بعبقرية مصطفى كمال وإخلاصه وتفانيه . وقد أشار المحاضر إلى أن الحروف اللاتينية أنسب وأكثر ملائمة للغة التركية ، وبرر ذلك باحتواء اللغة التركية على عدد كبيرمن الأصوات يفوق مافي اللغة العربية التي ليس فيها من الحركات سوى ثلاث هي الضمة والفتحة والكسرة .

---

(١) "Modern Turkey", The Proceeding of the British Academy, 1985.

وهذه القناعة موجودة لدى صغار المستشرقين ممن تعرفت عليهم في برنستون .

وفي نهاية المحاضرة تقدمت إلى المحاضر لأشكره على محاضرته الممتعه . ولمّا أكن أعرف أنه يهودي فقلت له لقد قرأت أن مصطفى كمال من يهود الدونمة وسبب من أسباب غضبه على اللغة العربية حقده على الإسلام فهل هذا صحيح ؟ قال : لقد سمعت هذا وصدمت ثم رأيته يتجهم ويشيح بوجهه عني ملتفتاً إلى الآخرين الذين تقدموا إليه .

المحاضرات الجامعية :

وفي مجال المحاضرات الجامعية لطلبة الدراسات العليا وجدت نفسي منجذباً لحضور بعض محاضرات الدكتور صادق جلال العظم [1] عن الفكر السياسي المعاصر في العالم العربي . وقد كانت محاضراته تنطلق من كتاب « الهزيمة والأيدلوجية المهزومة » وبالذات الفصل المعنون « سيرة ذاتيه »

---

(١) هو أستاذ سوري تخرج في جامعة ييل الأمريكية بدرجة الدكتوراه في الفلسفة ، وهو ماركسي ، وله كتاب **نقد الفكر الديني** وهو الذي رد عليه الشيخ عبدالرحمن الميداني في كتابه **صراع مع الملاحدة حتى العظم** .

ليـاسين الحـافـظ أحد كـبـار مـنـظـري حزب الـبـعث الـسـوري . لقد كانت المحاضرات التي استمعت إليها حول لغة النص وخلفية الكاتب (ياسين الحافظ) الثقافية والاجتماعية . وقد أشار الدكتور العظم إلى تمرد ياسين الحافظ على اللغة العربية وقوالبها المعروفة ، وأكد على أن ياسين الحافظ ينظر إلى اللغة كأداة ووسيلة لنقل الفكر وأنه ليس لها حرمة أوقدسية . ومن الألفاظ الغربية التي أصروا على إدخالها للغة العربية كلمة ديـمـقـراطية فاشتقوا منها فـعـلاً هـو دمقـرط أو مـقـرط . وكـلـمـة بروليتاريا وكولونيالية وراديكالية ،وأدلج من أيدلوجية ودمغج من ديماغوجية وغيرها وغرامه بصيغ جديدة مثل سياسوية ، ماضوية ، أخلاقوية ،الخياناوية ، المادوية وسواها . أما أفكار الـنـص فكـانـت سـتـأتـي فـي مـحـاضـرات أحـمـد الـلـه أنـنـي لـم أحضرها. فقراءة النص تكفي . لكن أبرز مافي النص من أفكار أنه لم يتوجه به إلى أولئك الذين مازالوا يتمسكون بعقائد غيبية وهناك تركيز على المفاهيم الشيوعية .

نشاطات جمعية برنستون للشرق الأوسط :

دعت جمعية برنستون للشرق الأوسط إلى محاضرة يلقيها وليام كوانت من كبار أعضاء معهد بروكنقز « حول سياسة

أمريكية نحو الشرق الأوسط في التسعينات » كما دعي اثنان من أساتذة العلوم السياسة في الجامعة لمناقشته . وقد بدأ المحاضر محاضرته بمجموعة من الفرضيات وتناولها فيمابعد بالنقاش . وهذه هي الفرضيات :

أ ـ انخفاض حدة الحرب الباردة بين أمريكا وروسيا واتفاق كلتا الدولتين على أن الشرق الأوسط لايستحق المغامرة من أجله

ب ـ لم يعد النفط يشكل أزمة في السياسة الدولية .

ج ـ استمرار الخريطة السياسية للشرق الأوسط دون تغير .

د ـ انشغال دول الشرق الأوسط بمشكلاتها الداخلية الاقتصادية والاجتماعية .

هـ ـ لن يكون هناك تغيير كبير في النواحي الأيدلوجية فلا يتوقع مثلاً أن تصل أيٌّ حركة إسلامية إلى الحكم .

و ـ تطور الأسلحة الكيميائية في دول المنطقة مثل سوريا و العراق و إيران ، وأن هذه الأسلحة ليست صعبة فيمكن تطويرها بإمكانتهم الحالية .

ومن الجدير بالذكر أن كوندات هذا كان من كبار الموظفين السياسيين في الحكومة الأمريكية ، لكنه تحول إلى النشاط الأكاديمي وذلك مافعله غيره من الساسة الأمريكان أمثال هنري

كسنغر وهارولد ساوندرز وروبرت نيومان . وفي مقال نشرته مجلة المجلة في عددها ٤١٥ في /١/ جمادى الآخرة عام ١٤٠٨ بعنوان « كيف تصنع الجامعات الأمريكية قرارات البيت الأبيض ووزارة الخارجية » تحدث فيه كاتبه عن كواندت في آخرمقاله قائلاً : « ويعتبر كوانت من أبرز خبراء الشرق الأوسط في الولايات المتحدة والمدرك لأبعاد الصراع العربي الإسرائيلي على المصالح الأمريكية »وذكر كاتب المقال أن كوانت هذا قد نشر كتاباً عن معاهدة «كامب ديفيد » يعد وثيقة هامة في الموضوع [1] .

معرض الصور الفوتغرافية عن الانتفاضة :

أما النشاط الآخر الذي دعت إليه جمعية برنستون للشرق الأوسط فهو معرض للصور الفوتغرافية قدمه صحفي ليس له ارتباط بأي صحيفة أمريكية . بدأ الصحفي حديثه قائلاً : بأن

---

(١) أحمد برصان .« كيف تصنع الجامعات الأمريكية قرارات البيت الأبيض ووزارة الخارجية » . مجلة **المجلة** العدد ٤١٥ في ٢٠ ـ ٢٦ يناير ١٩٨٨ ـ ١ ـ ٧ جمادى الآخرة ١٤٠٨ هـ . ولكوانت كتاب بعنوان « أمريكا والعرب وإسرائيل عشر سنوات كاملة (١٩٦٧ ـ ١٩٨٨) » صدر مترجما في سلسلة كتاب آكتوبر عن دار المعارف بمصر .

المساحة التي تحتلها أخبارُ الانتفاضةِ في الصحافة الأمريكية محدودةً جداً وتُغَطّى بطريقة ظالمة للفلسطينيين . وبدأ عرض الصور والتعليق عليها وشرح الإجراءات اليهودية وذكر أن مجرد تجمع مجموعة من الفلسطينيين لاسلاح معهم يكفي لإطلاق النار عليهم من قبل اليهود . وفضح مايقال عن الرصاص المطاطي بأنه لايؤذي موضحاً أن إطلاقه من مسافة قريبة قد يؤدي إلى إصابات بالغة وخطيرة ، وأضاف أن استخدام الغاز المسيل للدموع فيه كثير من الأضرار الصحية . وتحدث أيضاً عن محاولة الجنود اليهود منعه من التصوير مرات عديدة ولكنه إيماناً منه برسالته في فضح الممارسات اليهودية كان يقاومهم دائماً وهو ينوي العودة إلى فلسطين قريباً .حاول اليهود في القاعة أن يبرروا أعمال الجنود اليهود وأن الحجارة أيضاً خطرة، وأنه كان هناك ضحايا من جنودهم . وكدت أشكره علناً لولا أنني تذكرت مهمتي في برنستون . وبعد انتهاء العرض ذهبت إليه وشكرته وقلت له : سواءً آمن الشعب الأمريكي بقضية الفلسطينيين أم لم يؤمنوا فإن الانتفاضةَ سلاحُها الإسلام والإيمان بالله ، وما كانت حربنا مع اليهود إلاّحربَ عقيدة . وليس الفلسطينيون وحدهم في هذا الميدان فقد سبقتهم شعوب إسلامية

ومما يؤخذ على هذا الصحفي وغيره عدم معرفته بجوانب الصراع والاكتفاء بتصويره على أنه صراع من أجل الأرض والتحرر من الاحتلال . وإنما هو أكبر من ذلك .

المستشرقون الصغار :

وبالرغم مما أعرف عن نفسي من انطوائية وعدم قدرة على الاختلاط بالناس في مجتمع كالمجتمع الأمريكي ، لكن كان هناك لحظات تغلبت فيها على هذا النقص فعلمت أموراً عن خلفيات بعض الطلبة الثقافية والاجتماعية . فأحد الطلبة مبتعث من الجيش الأمريكي وهو برتبة ضابط مبتعث لدراسة أحوال الشرق الأوسط الفكرية والسياسية والاجتماعية . وقد درس اللغة العربية لمدة ثلاث سنوات . كما قابلت طالباً آخر حصل على منحة من مؤسسة فلبرايت ، وقد أمضى ثلاث سنوات يعمل في المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية في صنعاء ويتقن اللغة العربية والتركية وغيرهما . وسوف يحضر ندوة عن الأوضاع الاقتصادية في اليمن تعقدها جمعية الشرق الأوسط في لوس أنجلوس . حضرت لقاءً لطلاب الدراسات العليا في قسم دراسات الشرق الأدنى في برنستون لتكوين جمعية لهم ، وعلمت أن من نشاطات مثل هذه الجمعية تمويل نشاطاتهم

المختلفة مثل الحفلات الموسمية وتعلم اللغات المختلفة (العربية ، الفارسية ، التركية ، وغيرها) .

ومن الطلاب الذين لم ألتق بهم ولكن عرفت طبيعة عمله عن طريق بحثه طالب يعمل حالياً في البحرية الأمريكية وقد كان بحثه لدرجة الماجستير حول التنصير في الخليج العربي من عام (١٣٠٦ ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٨٨٩م ـ ١٩٧٣ م) .

مقابلة المستشرقين في جامعة برنستون :

ومن نشاطاتي في برنستون الالتقاء بالأساتذة وكان ممن لقيت البرفسور إبراهام يودوفتش : رئيس قسم دراسات الشرق الأدنى . من أصل روسي متخصص في التاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي . عرضت عليه خطة بحثي وأهديت إليه نسخة من كتابي عن جمعية العلماء فأخبرني أن زوجه مهتمة بشمال أفريقيا . كان حريصاً على تسهيل مهمتي وعرض علي المساعدة ولم احتج منه إلى أي شيء .في أحد لقاءاتي به قال لي : انظر يامستر مطبقاني نحن حريصون على أن نعرض الإسلام بطريقة صحيحة ولدينا علماء مسلمون أتقياء أمثال مُدَرِّسِي ولاأدري هو كان يتوقع أن أصدقه أم لا . ولكني لم أناقشه وقد قرأت قريباً أنه كان أحد أعضاء الوفد اليهودي

الأمريكي الذين ذهبوا لمقابلة ياسر عرفات في السويد [1] .
البرفسور مايكل كوك : أستاذ التاريخ الإسلامي وأحد تلاميذ البرفسورلويس من أهم أعماله الذي اشترك في تأليفه مع باحثه انجليزية هي باتريشيا كرون كتاب بعنوان « الهاجرية » وهي محاولة لإعادة كتابة التاريخ الاسلامي بالاعتماد على المصادر غير الإسلامية ورفض المصادر الإسلامية دون منطق مقبول . وكان مما توصلا إليه في كتابهما أن المهاجرين ينتسبون إلى هاجر وليس إلى الهجرة من مكة إلى المدينة وفي هذا الكتاب يصرح المؤلفان أن أي مسلم لن يقبل النتائج التي توصلا إليها ليس لأن هذه النتائج تقلل من الدور التاريخي لمحمد (صلّى الله عليه وسلم) ولكن لأنها تقدمه في دور يختلف كلياً عما يعرفه المسلمون تقليدياً . ويصرحان أيضاً بأن كتابهما كتب من قبل الملحدين للملحدين . وأطرف مافي مقدمة الكتاب اعتراف المؤلفين أن المسلم الذي في قلبه مقدار حبة من خردل من الإسلام

(١) جريدة المدينة المنورة العدد ٧٨٨٦ في ٢٨ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ ، ٧ ديسمبر ١٩٨٨ م .

فإنه لن يجد أي صعوبة في رفض الكتاب [١] . (من المقدمة)
البرفسور اتزكوويتز : أستاذ التاريخ الإسلامي العثماني . من المؤمنين بنظرية فرويد في التحليل النفسي . وقد قام بهذا العمل في كتابه حول مصطفى كمال . حتى يقال إنه لما فضح من أخلاق مصطفى كمال في كتابه هذا أصبح مغضوباً عليه . ولم أحصل على نسخة من هذا الكتاب رغم حرصي على ذلك لكني وجدت عرضاً له كتبته المهدية مريم جميلة في مجلة متخصصة جاء فيه قولها : « وبالرغم من أن المؤلفَيْن (اتزوكويتز وآخر) معجبان بعمق بعبقرية أتاتورك في القيادة ويمدحان بحماس إنجازاته في تحديث تركيا وتغريبها إلاأنهما لايحجمان عن الكشف الصريح عن كل عيوبه الشخصية وضعفه البشري [٢] .

---

(١) Patricia Crone and michael Cook. Hagatism, The making of the Islamic world, Cambridge: Cambridge University Press, 1977. PPVII & VIII

(٢) Mariam Jamila, Review of the Immortal Ataturk, A psycho-biography by Valmic D. Volkan and Norman Itzkowitz, Chicago: University of Chicago press 1984 in Muslim world book review, vol. 6 no> 3 Spring, 1986

طرقت بابه دون موعد مسبق فرحب بي وقال : « لقد التقيت شباباً من السعودية قبل خمسة عشر عاماً فشعرت بأنهم أذكى طلاب الشرق الأوسط وأكثرهم نباهة ولم يحدث مايغير رأيي فيهم ، فقلت وأرجو أن لاتكون هذه المقابلة سبباً في تغيير هذه النظرة .ثم تحدث عن المؤرخ وكيف يتأثر بالأفكار السائدة في مجتمعه وعصره ففي الوقت الذي ظهر هو فيه كان الناس يهتمون بالتحليل النفسي فانساق هو مع هذا التيار ، وفي العصر الحاضر انصب الاهتمام على القضايا الاقتصادية فيكون التفسير الاقتصادي للتاريخ هو السائد .

حاول أثناء الحديث أن يعرض علي أهمية التحليل النفسي بتطبيقها على مسألة الوحي واعتذر بأن ذلك قد يغضبني ، وكان مفاد كلامه أن الوحي حالة مرضية فقلت له لابأس ، وأضفت أن الشيخ رشيد رضا قد كتب قبل خمسين سنه تقريباً كتاباً بعنوان « الوحي المحمدي » رد فيه على مثل هذه الأفكار وأبسط الردود أن الذي يكون في حالة مرضية لايأتي بقرآن معجز ولا يؤسس دولة وأمة .

البرفسور شارل عيساوي : فلسطيني ـ مصري ـ أمريكي . متخصص في الدراسات الاقتصادية للعالم الإسلامي وبالذات

مصر . قابلته لصداقته للويس ولأعرف رأيه في خطة البحث . أعجبته الخطة وقال لي بالتعبير العراقي : زين ، زين . وأعجب بصفة خاصة بالمنهج . ولما ذكرت له إن لويس لايريد مقابلتي قال لماذا ؟ وأضاف سأحدثه عنك وأقنعه بمقابلتك . ونصحني بأن يقتصر بحثي على القضايا التي تخص العالم العربي فهناك من الأتراك من يتولى الرد على لويس فيها . سألته عدة أسئلة عن حياة لويس وتلاميذه فأجابني كما ذكرت سابقاً بأن علاقة لويس بمن يشرف عليهم من الطلاب رائعة جداً وهو يساعد الطالب في بحثه ويهيىء له كل ما يحتاجه . وسألته عن ممارسة لويس للشعائر اليهودية فنفى أن يكون لويس متديناً وأنه لم يدخل قط في حياته المعبد اليهودي ثم استدرك ـ على حد علمه ـ

معهد بحوث انانبرج للدراسات اليهودية ودراسات الشرق الأدنى ـ فيلادلفيا ـ بنسلفانيا :

هذا معهد أقامه اليهودللدراسات المتقدمة مابعدالدكتوراه . بعد أن وجدوا كثرة الجامعات التي تقدم الدراسات اليهودية في المرحلة الجامعية والمرحلة العليا .وهو معهد راق في إمكاناته وتجهيزاته ،ويقع في الحي التاريخي من مدينة فيلادلفيا حيث قاعة الاستقلال والمتحف الأمريكي الوطني . زرت المعهد في

غياب البرفسور لويس واطلعت على مكتبته ، وتمنيت أن يكون للمسلمين معاهد مثله في بلادهم أوخارجها . اطلعت على برنامجهم للعام الحالي والقادم . وفي هذا العام ٨٩/٨٨ يدرس العلماء النصوص المقدسة وتراجمها . لاحظت أن معظم المدعوين من جامعات يهودية في فلسطين حيث يبلغ عددهم سبعة من ثلاثة عشرعالماً ، وهناك عالم مسلم من الهند كان من المقرر أن يقوم بترجمة معاني القرآن إلى لغة الأردو وهناك أستاذةٌ من جامعة عين شمس هي أمينة جمعة ستقوم بترجمة المشينا إلى اللغة العربية مع مقدمة وتعليق . أماموضوع البحث للعام المنصرم فكان حول التفرقة العنصرية والنمطية ولم أحصل على موضوعات البحث . حصلت في هذه الزيارة على بعض أعمال لويس التي لم أتمكن من الحصول عليها في جامعة برنستون .

المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هرندن - فرجينيا:

يعمل في هذا المعهد كل من الدكتور طه جابر العلواني والدكتور عبد الحميد أبوسليمان وغيرهما ويتركز جهد المعهد أساساًعلى أسلمة المعرفة ويستعينون على ذلك بالندوات والمؤتمرات والبحوث والتأليف . وأجد من المهم أن أذكر هنا أهداف المعهد التي ينبغي على المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي كله

تبنيها وهي :

١ـ إشعار الأمة الإسلامية بِقَدْرِها وتحريرها من عقد النقص والهزيمة الروحية والفكرية وإنقاذها من الانفتاح الوهمي والاعتزاز السلبي بالتاريخ .

٢ـ تبنية الأمة الإسلامية إلى أهمية تراثها الإسلامي وتذكيرها بأن دوره لم ينته ، وأنه لابد من إحياء جوانبه النافعة المفيدة وتنميتها .

٣ـ تيسير الاطلاع على التراث الثقافي والفكري الإسلامي وتبويبه وتصنيفه وفهرسته على أبواب العلوم والأنشطة المعاصرة وتقديمه للباحثين المسلمين بأيسر السبل وأفضل الوسائل ، مع العناية بتنقيته مما يخالف الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ولاينسجم مع غايات الإسلام ومقاصده وأهدافه ....الخ .

وللمعهد قائمة منشورات هامة أذكرمنها على سبيل المثال: سلسلة إسلامية المعرفة صدر منها « إسلامية المعرفة المبادىء العامة وخطة العمل » . و « نحو نظام نقدي عادل » ، وإعادة طبع «أدب الاختلاف في الإسلام » و« نحو علم الإنسان الإسلامي »

عقدت مقارنة ذهنية سريعة بين المعهد العالمي ومعهد

انانبرج ليس في الأهداف فهذا أمر لايحتاج إلى نقاش ولكن في المبنى والتجهيزات ففرحت أن هدى الله من أثرياء المسلمين من قام على تمويل هذا المعهد . وهو فيما يبدو لي مستقل في أعماله وهذا أصل خطير تتمسك به المعاهد العلمية التي تريد النجاح والفلاح .

اللقاء بالبرفسور لويس

لقد كان من الاستعداد للقاء لويس الكتابة إليه للحصول على موعد معه . فكانت إجابته على رسالتي الأولى أن منهجه لايمكن الكتابة فيه بمايكفي لرسالة دكتوراه ، واقترح علي الكتابة في موضوعات أخرى . فأجبته بأن العنوان مقترح ويمكن تغييره ليصبح مفهوم لويس ، ولكنه بقي متردداً وأجاب في رسالته الثانية قائلاً إنه متخوف أن تكون كتابتي غير موضوعية ومتعصبة ضده ولابد أن يرى جزءاً من رسالة الدكتوراه حتى يقرر فيما إذا كان اللقاء سيكون ذا جدوى أم أنه لاجدوى منه وعلل ذلك بأنه مشغول جداً وأنه حريص على استغلال وقته بشكل دقيق . علمت عندها أن محاولة إقناعه للقائي لن تجدي ولو حاول معي كل من أعرف ليقنعوه باللقاء فإنه لن يقبل

ففضلت الرحيل إليه .[1]

وصلت برنستون وسألت عنه فعرفت أنه يعد أهبة السفر إلى جنوب شرق آسيا ولم أتمكن من ترتيب موعد قبل سفره وكان هذا توفيقاً من الله أنني بدأت مقابلة زملائه وأصدقائه وزرت معهده في فلادلفيا فما أن عاد حتى أصبحت كأنني عضو بالقسم وأصبح بيني وبين زملائه وأصدقائه ألفة بها يستطيعون اقناعه باللقاء .

ماذا سيكون الحديث عند لقائه ؟ لقد كان في ذهني أن أسأله أو أناقشه في مسائل محددة مما كتب ولكن المشرف على بحث الدكتوراه الذي أعدّه أشار علي بأن يكون اللقاء عاماً وحول منهجه بالذات ، وأعددنا الأسئلة وشاورت من شاورت قبل أن أسافر حتى إذا حدد لي موعداً للقائه كان دعوة إلى الغداء في مطعم الأساتذه ، وهو مطعم راق جداً يكرس نظرية التفرقة والاستعلاء ، حتى لما ذكرت للويس أنه حبذا لوكان

(١) تأكد لي موقفه من الإسلاميين عندما اقترح علي في إحدى رسائله قراءة مقال صادق جلال العظم « الاستشراق و الاستشراق معكوسا » ومقال د.فؤاد زكريا « نقد الاستشراق و أزمة الثقافة العربية المعاصرة » الذي يعيب فيه على الإسلاميين سطحية النظرة لأعمال المستشرقين ... الخ .

للطلبة مطعم مشابه قال أليس عند المسلمين الخاصة والعامة وهذا للخاصة . ولم أناقشه لأنني أريد أن أستمع فقط . فليست فكرة الخاصة والعامة إلا ماأورده أحدُ الفقهاء المسلمين بأن الخاصة هم القادرون على فـهم الأحكام وعللها والعامة الذين لايقدرون على هذا الفهم لعدم استعدادهم العلمي والعقلي وهـذا من التقسيمات الباطنية أيضا .

وفي هذا اللقاء كان الحديث عاماً صورته في مذكراتي باللقاء بين المتصارعين أو المتلاكمين عندما يحدق كل منهما في عيني خصمه يحاول هزيمته قبل اللقاء . وكان لقائي بلويس هادئاً استمعت فيه أكثر وأفصحت عما عندي أقل حتى إنه قال يبدو أنك تعلمت الدبلوماسية من عملك في العلاقات الدولية في الخطوط السعودية . قلت قليلاً .

وجئته بعد أيام في مكتبه وقد أعددت أربعة أسئلة حول منهجه والتغيرات التي طرأت على هذا المنهج حول التوثيق في كتاباته عمن تأثربهم في منهجه . وأجاب عن الأسئلة وقمت بتسجيل حديثه بآلة التسجيل .

ولعل أهم نتيجة أعتقد أنني وصلت إليها هي إقنـاع لويس وغيره أن المنتسبين للمعـاهد أو الجامعات الإسلامية ليسوا كلهم

متعصبين أو حاقدين على المستشرقين وإنما هم ينطلقون من قوله تعالى« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى »[١] وقد سألني عن رأيي في مسألة ما فقلت لابد أن أقرأ كل ماكتب حولها ومن ثم أستطيع أن أكوّن لنفسي رأياً فأعجبته هذه الإجابة .

مكتبة جامعة برنستون :

وقبل أن أختم الحديث عن زيارتي لجامعة برنستون لابد أن أذكر كلمة عن مكتبة جامعتها فهي تعد المكتبة الجامعية الأولى مساحة في العالم وربما في عدد كتبها أيضاً . وقد افتتحوا أثناء زيارتي توسعة المكتبة التي بلغت تكلفتها أحد عشر مليون دولار . أما ميزانية المكتبة فقد تسببت في عجز من ميزانية الجامعة قدره حوالي مليون دولار . وإن من الوسائل التي استحدثوها لمواجهة الزيادة المضطردة من الكتب والدوريات أن أضافوا بعض الرفوف التي تتحرك على قضبان كسكة الحديد فلا تأخذ مساحة واسعة ويمكن تحريك الرفوف بعجلة صغيرة باليد .

(١) سورة المائدة أية (٨) .

وهناك قسم للكتب العربية فيه من الكتب مالايمكن أن يوجد في المكتبات العربية . ولهم وسائل خاصة وعجيبة في معرفة كل ما يصدر في العالم العربي والإسلامي واقتنائه . لكنني وجدت ترتيب الكتب بطريقة لم أستطع فهمها ، فهناك كتب التاريخ إلى جوار كتب التفسير إلى جوار كتب اللغة ليس لها نظام حتى الترتيب الأبجدي لأسماء المؤلفين ليس هو النظام المتبع . وعللت الأمر بأن الباحثين يستعينون بالبطاقات أو الكمبيوتر في معرفة مكان الكتاب ولاحاجة للوقوف بين الرفوف ولكن وقوفي بين الرفوف يسر لي الحصول على مخطوطة لأحد علماء المدينة توفي منذ مائة سنة كما وجدت بعض الكتب لتعليم اللغة العربية العامية في المغرب العربي التي قد لاتتوفر في المغرب نفسه .

وبالإضافة إلى الكتب المطبوعة فمكتبة الجامعة تضم ثاني أكبر مجموعة من المخطوطات العربية في العالم وقد قرأت أن أحد علماء المدينة وهو أمين حسن الحلواني المدني قد باع لمكتبة برنستون مجموعة من المخطوطات عام ١٨٨٣ حين حضر مؤتمر

المستشرقين الذي عقد في ليدن بهولندا في تلك السنة.[1]

تقويم موجز لتجربة برنستون :

قبل سنتين تقريباً نشرت مجلة المجتمع[2] في عددها الصادر في ١٤ ربيع الأول ١٤٠٦هـ تقريراً للمستشرق الأمريكي دانيل بايبس أستاذ التاريخ في مركز جامعة هارفرد لدراسات الشرق الأوسط عن بحث له بعنوان « المتعصبون المسلمون وسياسة الولايات المتحدة » .وجاء في تقديم المجلة للتقرير : « وتأتي أهمية التقرير الوثيقة لأنه صادر عن مركز متخصص بدراسات الشرق الأوسط من جامعة هارفرد التي تتميز بقوة النفوذ الصهيوني فيها كما تعتبر مركزاً أكاديمياً مؤثراً في السياسات الأمريكية بشكل عام » . وأشارت المجلة إلى الدكتور ناداف سافران وهو أستاذ يهودي يحمل الجنسية الإسرائيلية من أصل مصري قد عهد إليه بالإشراف على عقد

---

(١) قاسم السامرائي . **الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية** ، الرياض : دار الرفاعي ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ ص ١١١ و ١١٢ .

(٢) دانيل بايبس « المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة » . **المجتمع** العدد ٧٤٣ في ١٤ ربيع الأول ١٤٠٦ـ ٢٦ نوفمبر ١٩٨٥ ص ص٢٨ ـ ٣٢ .

مؤتمر عن « الإسلام والسياسة في العالم المعاصر » ولما اكتشف أن المؤتمر مولته المخابرات المركزية الأمريكية CIA اضطر إلى الاستقالة .

والبرفسور لويس الذي كان يعمل في جامعة برنستون يرأس لجنة الزيارات في قسم لغات الشرق الأدنى وحضارتها في جامعة هارفرد . وقد سألني هل زرت جامعة هارفرد فإنه مركز يستحق الزيارة . وهو يستحق الزيارة فعلاً .

إن ذكر هذا التقرير الذي أعده بايبس في جامعة هارفرد يذكرنا بما نشرته مجلة الدعوة حين كانت تصدر من النمسا عندما نشرت ترجمة بحث للبرفسور لويس بعنوان « عودة الإسلام » في أعدادها السادس والثمانين إلى التاسع والثمانين أوآخر عام ١٤٠٣ أوائل عام ١٤٠٤ ويكفينا أن نقرأ مقدمة الدعوة :

« برنارد لويس البريطاني الأصل ١٩١٦ واحدُ من أشهر وأخطر المستشرقين المعاصرين في مجال الكتابة عن القضاياالإسلامية.. ...إلى أن تقول : وأهمية الدراسة تعود إلى أهمية القضية التي تتناولها إذ هي قضية الساعة لدى المسلمين الواعين ولدى أعدائهم على السواء ،وإلى أهمية الكاتب وطول خبرته في هذا

الميدان وإلى قدرته الواضحة على توفير المعلومات وتنظيمها ليثير من خلال ذلك قضايا حساسة ». [1]

فبالإضافة إلى مثل هذه الأعمال المشهورة التي وصلت إلينا فما لايصل إلينا كثيرٌ جداً ففي عام ١٩٧٤م - ١٣٩٤ هـ ألقى البرفسور لويس كلمة أمام لجنة الكونقرس الفرعية للشؤون الخارجية برئاسة هنري جاكسون عن الصراع العربي الإسرائيلي واعتزازاً من اليهود بتلك المشورة الغالية قامت وزارة الشؤون الخارجية في إسرائيل بنشرها . أما غيره من الباحثين وصغار المستشرقين فإنهم يعملون بنشاط دؤوب لايعرف الكلل . إنهم يدرسون اللغات والديانات والمجتمعات ويقيمون المحاضرات والندوات المنظمة جداً . ليصلوا إلى هدفهم وهو المعرفة التي يوجهونها نحو إحكام قبضتهم على العالم . ونحن من هذا العالم الذي لم تنته أطماعهم فيه .

وبالمناسبة أود أن أذكر أن رابطة الشباب العربي المسلم في أمريكا قد نشرت مؤخراً كتاباً بعنوان :

---

(١) برنارد لويس .« دعوة الإسلام » مجلة الدعوة ا
٨٦ في ذي القعدة ١٤٠٣ هـ مقدمة المترجم .

« الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر » .تضمن دراسة موجزة لكيفية دراسة الغرب للدين الإسلامي وبخاصة ظاهرة الصحوة الإسلامية في أنحاء العالم الإسلامي [1] . وقد تحدث الكتاب عن الندوات والمؤتمرات التي عقدت في أمريكا وأوربا خلال الأعوام القليلة الماضية فذكر منها مايلي :

١ـ ندوة مركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة جورج تادن في واشنطن العاصمة استمرت يومين شارك فيها مايزيد على خمسةٍ وثلاثين أستاذاً وباحثاً ومفكراً من الاختصاصين في القضايا العربية والإسلامية .

٢ـ عقدت جمعية دراسات الشرق الأوسط مؤتمرها السنوي العشرين والحادي والعشرين في مدينتي بوسطن و بلتميور (١٩٨٦ ـ ١٩٨٧) وقد نوقش في هذين المؤتمرين مايقارب المائة بحث تنوعت من الطرق الصوفية إلى الحركات الحديثة ثم ظاهرة الأصولية الإسلامية . وأما مؤتمر هذا العام فيعقد في

---

(١) وتجدر الإشارة إلى أن باحثا أمريكيا هو ريتشارد هرير دكمجيان قد نشر كتابا بعنوان « الأصولية في العالم العربي » عام ١٩٨٥ . ترجمه وعلق عليه عبد الوارث سعيد وصدر عن دار الوفاء للطباعة والنشر هذا العام ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

لوس أنجلوس حول التاريخ الاقتصادي الحديث للدول الإسلامية وسوف يقدم أحد طلاب الدراسات العليا في جامعة برنستون بحثاً عن الأوضاع الاقتصادية في اليمن بعد أن أمضى هناك ثلاث سنوات .

وقد أصابت العدوى الدولَ الأوروبية فعقد مؤتمرٌ أوروبي غربي رسمي لمناقشة قضية «المد الإسلامي في منطقةِ الشرق الأوسط » وإمكانات انعكاس هذا المد على الأوضاع القائمة حالياً في المِنطقة . وقد كتبت عن هذا المؤتمر مجلة المستقبل في عددها رقم ٥٦٤ في ١٢ ديسمبر ١٩٨٧ .

أما في مجال النشر فإن القوم يصرحون أحياناً ببعض نتائج اجتماعاتهم ولعل ماخفي يكون أعظم ولكن لننظر فيما صدر عن أحد الدبلوماسيين الأمريكيين وهو هيرمان ايليتس حيث يقول : « النظريات التحديثية وضعت الأديان ، ومنها الإسلام جانباً منذ أمد بعيد وعزلته عن أي دور ذي ثقل تطويري في العالم الثالث . وبدا واضحاً خلال السنوات الخمس الماضية أن أولئك المتطرفين أظهروا فهماً سطحياً لحيوية الإسلام في العالم المعاصر . وقدموا « نصائح لاقيمة لها في هذا المجال ، وعلى

خلاف ماأكدوه .فقد أثبت الإسلام أنه حي » .[1]

وقد استطاعت مجلة المجتمع أن تحصل على تسجيل وثائقي لحوار دار بين بعض المسؤلين والمتخصصين في البيت الأبيض حول موقف أمريكا من العالم الإسلامي وبخاصة الصحوة الإسلامية . والحوار يكشف عن مدى تخوف أمريكا من الحركة الإسلامية وإعدادها كل الوسائل لوقفها بل وتحطيمها ولكن تقول « والله غالب على أمره ولكن أكثرالناس لايعلمون »[2] .

---

(١)أحمد بن يوسف . الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر . انديانا : رابطة الشباب العربي المسلم . ١٩٨٨م

(٢)أحمد خضر إبراهيم . نموذج غربي في رصد الحركة الإسلامية . المجتمع الأعداد ٩١٠ ومابعدها ، ٢١ شعبان و ٢٨ شعبان ١٤٠٩ هـ .
الموافق ٢٨ مارس ١٩٨٩ م ومابعدها .

بريطانيا

إن الحديث عن بريطانيا قد لايقع تحت عنوان هذا الكتيّب ولكنْ للتجار مصطلح حين يكرمون الزُبون بإعطائه زيادة على ماأشترى ويطلق على ذلك في الأردن « زيادةً البياع » ويطلق عليه في المدينة المنورة « وصاية البيّاع » . ولكنها في الحقيقة ليست زيادة بل هي من صلب الموضوع فما بريطانيا وأمريكا إلاّ وجهان لعملة واحدة ولنذكر الأثر الذي يحب لويس أن يكرره كثيراً « الكفر ملة واحدة » .

نعم رحلت إلى بريطانيا لأتعرف إلى جذور برنارد لويس وحياته الأولى ونشاطاته وقد تعلمت بعض الشيء عنها .

ذكرت أن لويسْ درّس في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية التابعة لجامعة لندن فكان لابد من زيارتها والتعرف على مكتبتها وتعد هذه المدرسة من أهم مراكز الاستشراق في العالم الغربي . ولهذه المدرسة تقرير سنوي تصدره الهيئة الإدارية للمدرسة توضح فيه النشاطات العلمية لكل قسم من أقسامها ثم تعرض الإنتاج العلمي لكل عضوهيئة تدريس من

محاضرات عامة إلى أحاديث إذاعيةٍ إلى ندوات تلفازية إلى مقالات وبحوث وكتبٍ منشورة .

أردت أن أعـرف الرسائل الـعلـمـيـة التي أشرف عليها البرفسور لويس فكان لابد من زيارة مكتبة جامعة لندن ـ قسم الرسائل العلمية ـ وهذه يطلق عليها مكتبة السنت SENATE ولكن من الصعب حصر هذه الرسائل لأنها مرتبة حسب أسماء معديها ولكن عن طريق الموضوع يمكن اكتشاف ذلك إلى حدما. قابلت عدداً من الأساتذة في هذه الجامعة هم :

إم .إي ياب : رئيس قسم التاريخ وهو من زملاء لويس تقدمت إليه ببعض الأسئلة فأشار إلى أن هذه الأسئلة واسعةٌ جداً ويجب على الباحث الإجابة عنها ولكنه تحدثْ عن انطباعاته عن لويس. وكان حديثهُ عاماً فهو لايريد أن يقول كلمة عن لويس قد تؤخذ عليه .

د.زيدي : أستاذ التاريخ الإسلامي في الهند زامل لويس في هذه المدرسة وأشركه لويس في كتابة بعض موضوعات دائرة المعارف الإسلامية . الموسوعة التي يجب أن تكتب بأيدٍ إسلامية مائه في المائه ولكنهم يمنون على شخص أو اثنين أو ثلاثة من المسلمين ليشتركوا في أقل جهد لايمكن أن يغير من

طبيعتها الاستشراقية .

د. **فاتيكيوتس** : أستاذ العلوم السياسية لدول الشرق الأدنى والأوسط .من زملاء لويس اطلع على خطة بحثي وكان يهز رأسه ويضحك أحياناً وبدأ دفاعاً مستميتاً ضد من هاجم لويس ممن ذكرت في الخطة ووصف الذين يهاجون لويس بأنهم (زعران) وذكر بأن الذين يهاجمون لويس يفعلون ذلك لأنه خلق يهودياً وماذنبه أنه خُلق كذلك .

الدكتور محمد مناظر أحسن : رئيس المؤسسة الإسلامية بليستر أحد تلاميذ لويس في مرحلة الدكتوراه تحدث عنه حديثاً طويلاً وأكد بعض المعلومات التي حصلت عليها من أمريكا وبخاصة حول معاملة لويس لطلابه . والدكتور مناظر كان قد زودني بجزء لابأس به من كتابات لويس . والمؤسسة التي يديرها رغم إمكاناتها المتواضعة إلا أنها تقوم بعمل مبارك ونشر الفكر الإسلامي والدعوة إلى الإسلام وهي مهتمة بالحوار الإسلامي النصراني ,ولها دورية مهمة جداً حول الكتب التي تصدر حول الإسلام في الغرب فتقدم مراجعات لهذه الكتب وعروضاً وتقويماً وفق الله القائمين عليها .

بين جامعة برنستون وجامعة لندن :

لقد عقدت مقارنة بين مركز برنستون وجامعة لندن ليس من حيث الأهدافُ والغاياتُ فهذه متفقة إلى حد كبير ولكن من حيث الإمكانات والتجهيزات فوجدت أن الأمريكان يتقدمون الإنجليز بعشرات السنين فمكتبة مدرسة الدراسات الشرقية على ضخامتها واتساعها فليس فيها سوى آلةِ تصوير واحدة وكانوا ينوون إضافة آلتين جديدتين .ولكن حين كنت هناك كان لابد من الانتظار في صف طويل .وأذكر هنا كلمة للدكتور مناظر قالها في محاضرة ألقاها في قسم الاستشراق في المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة جاء فيها : وأما في أمريكا فالمقدرة المالية متوفرة فهناك برامجُ وتخطيطٌ على نطاق واسع ولكنه ليس في خدمة الإسلام .إنهم حين ينشئون أقساماً جديدة ومؤسسات فهي ضد الإسلام .وأما في بريطانيا فإنه وإن انخفض العمل وقل الإنتاج لقلة الموارد لكن الاستشراق لن يموت فالاستشراق مستمر .وقد تغير الأمر في الوقت الحاضر فلم تعد الدراسات الاستشراقية تركز على العقيدة والتاريخ فقط بل اتجهت إلى الأوضاع الحاضرة والنهضة أوالصحوة الإسلامية .

وفي ختام حديثي هذا لاأجد خيراً من كلام الدكتور العمري في تحديد الحل الذي يتمثل في جانبين : الشق الأول : أن نمثل أنفسنا أمام أنفسنا بأن تقوم مؤسساتُنا العلمية برسم الصورة الثقافية والتاريخية والعقديّة لأمة الإسلام دون أن تخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون ، فهذا جانب مهم وأولى وهو أحرى بالاهتمام لأن فيه تحصيناً للأمة ، ثم يصار إذا بلغنا المستوى المناسب من تهيئة أصحاب الخبرات نقومُ عندئذ بتمثيل أنفسنا أمام الآخرين وبلغاتهم » .وأحب أضيف أن الجانبين لايلزم أن يكونا منفصلين أومتعاقبين بحيث يجب أن نتم الأول لنبدأ الثاني فلابأس أن يقوم القادرون منا على تمثيلنا، أن يفعلوا ذلك إذا كانوا على يقين بصدق تمثيلهم لأمتهم وعقيدتها وفكرها وتاريخها .لأنه إذا انتظرنا إنجاز الشق الأول فإن الغرب متقدم علينا الآن بخطوات واسعة في دراستنا وتمثيلنا فلابد من العمل الدؤوب المخطط له .

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

المراجع

مراجع عربية :

١ـ أحسن ، محمد مناظر . « حقائق عن الاستشراق » ،**محاضرة في** : المعهد العالي للدعوة الإسلامية . ترجمة عدنان الأماسي ، ومازن مطبقاني (إعداده) في ١٤٠٨/٢/٢٥ هـ .

٢ـ بايبس، دانيل ، « المسلمون المتعصبون وسياسة الولايات المتحدة ». **المجتمع** العدد ٧٤٣ في١٤ ربيع الأول ١٤٠٦هـ . ٢٦ نوفمبر١٩٨٥م . ص ص ٢٨ ـ ٣٢ .

٣ـ برصان ، أحمد ،« كيف تصنع الجامعات الأمريكية قرارات البيت الأبيض ووزارة الخارجية » مجلة **المجلة** العدد ٤١٥ في ٢٠ ـ ٢٦ يناير ١٩٨٨م ١ ـ ٧ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ .

٤ ـ سعيد ، ادوارد ، « الاستشراق والصهيونية » . مجلة **المجلة** العدد ٤٠٨ في ٢ـ ٨ /١٢/١٩٨٧ .

٥ـ عبد الرحمن ، عفيف ،« الدراسات العربية والإسلامية في أمريكا . مجلة **الفيصل** العدد/٤٩/في رجب ١٤٠١هـ أيار(مايو) ١٩٨١ م ص ص ١٨ ـ ٢٣ .

٦ـ العمري، اكرم ضياء . « الاستشراق هل استنفد أغراضه ».؟ **محاضرة** عامة في الجامعة الإسلامية رجب ١٤٠٨ هـ .

٧- لويس ، برنارد.« عودة الإسلام ». مجلة الدعوة (النمسا) الأعداد ٨٦ و٨٧ و٨٨ و٨٩ من ذي القعدة ١٤٠٣ هـ إلى محرم وصفر ١٤٠٤هـ .أغسطس ١٩٨٣ إلى اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٣ م .

٨ - يوسف ، أحمدبن ،« الإسلام السياسي وتحولات الفكر المعاصر » . انديانا : رابطة الشباب العربي المسلم سلسلة البحوث والدراسات عام ١٩٨٨ م .

٩- عرفات يجتمع بيهود أمريكيين . جريدة المدينة المنورة العدد ٧٨٨٦ في ٢٨ ربيع الآخر ١٤٠٩ هـ - ٧ ديسمبر ١٩٨٨ م .

مراجع أجنبية :

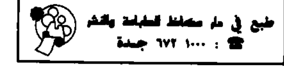
(1)

- Deverneux, Roert> "A Note on Middle Eastern Studies in the United States>" Islamic Quarterly 1963 pp 95-102.

(2)

Patricia Crone and Michael Cook, Hagarism, The making of the Islamic World. Cambridge: Cambridge University Press, 1977..

الفهرس


طبع في دار حافظ للطباعة والنشر
☎ : ١٠٠٠ ٦٧٢ جدة